مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية
المجلد 39- العدد 4 (2023) 68-82

Damascus university Journal for engineering sciences
Vol 39 No.4 (2023) : 68-82

جماليات الإيقاع في رسومات مخطوط إنجيل رابولا

فواز جوبان[1]، د. حلا الصابوني[2]

[1]طالب ماجستير- قسم التصوير- كلية الفنون الجميلة - جامعة دمشق.

[2]مدرس - قسم التصوير- كلية الفنون الجميلة - جامعة دمشق.

الملخص

يمثل الإيقاع أحد نقاط التلاقي بين الفنون عامة فهو النسيج المشترك بينها، ويأخذ مفهومه الجمالي في مجال الفنون التشكيلية من علاقته بعناصر التكوين الفني، فهو أحدها والتي منها (التناظر والتكرار والتشابه والتنوع والتطابق)، والتي من خلالها يتم إنجاز التشكيل الفني الإبداعي، سواء كان التشكيل مبسطا أم معقد.

ويستمد عنصر الإيقاع أبعاده الجمالية من مكونات وأنماط الحياة، بدءاً من الزمن ونبضه وصولاً إلى القلب ودقاته، ولكنه يتبلور بوضوح في الفنون الإبداعية. فيبدو بتجانسه وتنوعه وأنماطه جاعلا العمل الإبداعي إلى صورة من صور التصميم الفني التي تنعكس بتأثيرها وجمالياتها على معظم الأنشطة الحياتية، فنجده بوضوح في التصاميم المعمارية والإعلانية وكذلك في اللوحات الفنية تصويرا وحفرا ولا يمكن إغفال وجوده في المنجزات النحتية.

وفي كل الأحوال ينبثق الإيقاع من شخصية الفنان الذي ينجز عمله الإبداعي متأثرا بما حوله من نماذج إيقاعية سواء كانت طبيعية أم إنسانية شهدها وتفاعل معها في حياته اليومية، ومن تلك الصور الإبداعية ما رسمه الفنان السرياني السوري المنشأ تلك الرسومات والمنمنمات التي ضمتها صفحات مخطوط انجيل رابولا.

ففي هذه الدراسة لجأ الباحث إلى معالجة النقاط المتعلقة بموضوع الإيقاع الفني، ودوره في بناء اللوحات، وتسليط الضوء على أنواعه التي استخدمها الفنان في إنجاز عمله الإبداعي، وكيفية التعامل مع الإيقاع بوصفه مفهوماً جمالياً يشد المتلقي للوصول إلى الهدف المنشود من تصوير تلك الأحداث والوقائع التي جرت في تلك الحقبة من التاريخ.

الكلمات المفتاحية: الجمالية، الإيقاع، الرسومات الإيضاحية، انجيل رابولا.

تاريخ الإيداع:2022/5/11
تاريخ القبول:2022/8/4

حقوق النشر: جامعة دمشق –سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص **CC BY-NC-SA 04**

ISSN:2789-6854 (online)
http://journal.damascusuniversity.edu.sy

Aesthetics Of Rhythm In The Drawings Of The Manuscript Of The Rabbula Gospel

Faouaz Jouban[1], Dr. Hala Al sabone[2]

1Master's student - Department of Photography - Faculty of Fine Arts - Damascus University.

2Lecturer - Department of Photography - Faculty of Fine Arts - Damascus University.

Abstract

Rhythm represents one of the points of convergence between the arts in general, as it is the common fabric between them, and takes its aesthetic concept in the field of plastic arts from its relationship with the elements of artistic formation, it is one of them, including (symmetry, repetition, similarity, diversity and congruence), Through which the creative artistic formation is accomplished, whether the formation is simplified or complex.

The element of rhythm derives its aesthetic dimensions from the components and patterns of life, starting from time and its pulse, to the heart and its beats. However, it crystallizes clearly in the creative arts, and it appears in its homogeneity, diversity and patterns, making the creative work into a form of artistic design that is reflected in its impact and aesthetics on most life activities. We find it clearly in architectural and advertising designs, as well as in paintings, paintings and engravings, and its presence in sculptural achievements cannot be overlooked.

In all cases, the rhythm emerges from the personality of the artist who accomplishes his creative work, influenced by the rhythmic patterns around him, whether natural or human, which he witnessed and interacted with in his daily life. Among these creative images are those drawn by the Syriac artist of Syrian origin, those drawings and miniatures that were included in the pages of the Rabbula gospel manuscript.

In this study, the researcher resorted to addressing the points related to the subject of artistic rhythm and its role in building paintings. And highlighting the types that the artist used in accomplishing his creative work, and how to deal with rhythm as an aesthetic concept that pulls the recipient to reach the desired goal of depicting those events and facts that took place in that era of history.

Received: 11/5/2022
Accepted: 4/8/2022

Copyright: Damascus University- Syria, The authors retain the copyright under a CC BY- NC-SA

Keywords: Aesthetics, Rhythm, Illustrations, Rabbula's Gospel.

1 المقدمة:

يرتبط مفهوم الإيقاع الفني بشكل أساسي بتلك العناصر التي تشكل بناء العمل الفني، فينشأ من خلال ذلك الارتباط علاقات تجمع الإيقاع بالحركة والنظام والتناغم والتكرار والتدرج والتنوع والاستمرارية وغيرها من المجالات عبر عنصري الوحدات والفترات التي يتشكل منها الإيقاع والتي قام الفنان المصور باستخدامها في لوحاته بشكل عام، وما قام به الفنان السرياني السوري بشكل خاص مزخرفاً منمنماته في مخطوط رابولا مستعيناً بأنواع الإيقاع يعبر من خلالها على جمالية تربط الشكل بالمضمون، والصور المرسومة بالأفكار والرموز الدينية.

2 مشكلة البحث:

تتلاقى الفنون في البناء الإيقاعي لتأخذ حيزا بين مكونها سواء كان هذا الحيز ملموساً أم محسوساً أم متحركاً أم ظاهراً، مما يجعل المتلقي يعيش حالة من الرضا والشعور بالراحة والأنس وحتى التأمل الروحي بما أنجزه الفنان المصور فتلقي تلك الرسومات بجمالها وأسرارها بعدا جماليا للمنجز الفني من حيث الشكل والمضمون.

يتوضح مفهوم الإيقاع في الفن بشكل عام من خلال البعدين التاليين، البعد الأول هو شكل العمل الفني، والبعد الثاني ما يحمله المضمون، وفي ارتباطهما يكون الإيقاع هو جوهر العمل الفني ومدى تماسكه، وعلى هذا الأساس يمكن معرفة المدى الذي وصل إليه الفنان في تحقيق الجمالية الفنية في تصوير.

ومن هنا تأتي هذه الدراسة إسهاماً في التعرف إلى جماليات الإيقاع الفني ودوره في الفن المسيحي السرياني التي تعود أصولها للبيئة السورية المحلية والتي امتزجت مع غيرها من الفنون التي دخلت إلى المنطقة السورية سواء من الشرق أو الغرب لتنتج فنا أصيلا له بعده السوري.

ويتناول البحث النظم الإيقاعية في لوحات مخطوط إنجيل رابولا للتعرف على أنواعها ومجالاتها لتوفير مدخلاً ومصدراً ثرياً من الرسومات والزخارف القديمة حيث يمكن صياغة المشكلة في التساؤل التالي :هل يمكن الاستفادة من دراسة أنواع وأنماط الإيقاع في رسومات مخطوط إنجيل رابولا وفهم تلك الثقافة الجمالية السورية مما تغني الباحثين والمشتغلين بصريا ومعرفياً في المجال الفني والجمالي؟

3 أهمية البحث:

تتجلى أهمية الدراسة في:

- للإيقاع دور مهم في بنية التكوين الفني للوحة.
- تسليط الضوء على أهمية الإيقاع وأنماطه في رسومات المخطوط.
- حاجة المتخصصين في مجال الفن ولاسيما التشكيلين والنقاد والمهتمين وطلبة الفن في التعرف على الفن السرياني السوري.

4 هدف البحث:

تهدف الدراسة إلى:

- التعرف إلى ماهية الإيقاع ومظاهره ومفهومه بشكل عام.
- التعرف إلى أنواع الإيقاع ومكوناتها.
- التعرف إلى المكامن والمظاهر الجمالية التي يشكلها الإيقاع الفني في المخطوط.

5 فرضية البحث:

ما القيم الجمالية التي عمل عليها الفنان في بناء رسوماته مستعينا بحسه الفني منجزا عمليا حيث ظهر فيه العنصر الإيقاعي واضحا؟

كل ذلك قد تم إنجازه قبل ما يزيد عن نحو ألف وأربع مائة سنة تقريباً

وهل استلهم عمله من الطابع المحلي متأثراً بالحاضنة الفنية التي نشأ فيها؟

6 حدود البحث:

6-1 الحدود المكانية:

تعود الى دير مار يوحنا في بيت زغبا، الواقعة بين أنطاكية وحلب في شمال سوريا.

6-2 الحدود الزمنية:

عصر الدولة البيزنطية، القرن السادس ميلادي.

6-3 الحدود الموضوعية:

رسومات مخطوط إنجيل رابولا.

7 منهج البحث:

دراسة وصفية تحليلية لنظم جمالية الإيقاع في رسومات المخطوط.

8 عينة البحث:

اللوحات الثماني والعشرون في مخطوط إنجيل رابولا.

9 الدراسات السابقة:

9-1 دارسة محمود شاكر نعمة (مفهوم الإيقاع اللوني وتطبيقاته في رسومات كاندنسكي)، 2005).

احتوت الدارسة على أربعة فصول، تضمن الفصل الأول مشكلة البحث وأهميته والحاجة إليه، فتحددت مشكلة البحث بالإجابة على السؤال التالي:

هل وفق(كاندنسكي) في تحقيق الإيقاع اللوني في رسوماته؟

كما تضمن الفصل الأول هدفا البحث وهما:

1. تعرف مفهوم الإيقاع اللوني في الفن الحديث.
2. الكشف عن تطبيقات كاندنسكي لمفهوم الإيقاع اللوني.

أما الفصل الثاني فقد تضمن الإطار النظري الذي احتوى على أربعة مباحث، تناول المبحث الأول السيرة الذاتية لكاندنسكي ومرجعيات الفن التجريدي الفكرية والجمالية. وتناول المبحث الثاني الإيقاع في الفن متقصيا الأثر الجمالي في المنتج الفني. أما المبحث الثالث فتناول الإيقاع اللوني في الرسم الحديث. أما المبحث الرابع فقد تناول التجريد في رسومات كاندنسكي.

9-2 دراسة الباحثين خليف محمود خليف ومعتز عناد غزوان

(جماليات الإيقاع اللوني في الملصق الإرشادي)،2020.

احتوت الدراسة على ثلاث فصول، تضمن الفص الأول مشكلة البحث وأهميته والحاجة إليه، فتحددت مشكلة البحث بالإجابة على السؤال التالي:

ما الذي يشكله التصميم الكرافيكي الإرشادي (الملصق) من خلال جماليات الإيقاع اللوني؟

كما تضمن الفصل الأول هدف البحث وهو:

التعرف على تأثيرات جماليات الإيقاع اللوني في التصميم الكرافيكي (الملصق الإرشادي).

أما الفصل الثاني والذي يتضمن المباحث التالية:

المبحث الأول، مفهوم الجمالية. والمبحث الثاني، الإيقاع اللوني، المبحث الثالث، الملصق الإرشادي.

أما الفصل الثالث يتضمن المباحث التالية: منهج البحث، مجتمع البحث، أنموذج البحث، أداة البحث، تحليل النماذج. ومن ثم نتائج البحث والتوصيات.

10 تحديد المفاهيم والمصطلحات:

10-1 انجيل رابولا (Rabbula Gospels):

المخطوط الذي يحمل الرمز (1،56) والذي عرف فيما بعد بين الباحثين بإنجيل رابولا أو مخطوط رابولا، (Rabbula Gospels) أو (Rabbula Codex).

وقد كان للعلامة المطران السمعاني [1] الفضل الكبير في اكتشافه والتعريف به ووصفه وإبراز أهميته وكنوزه للعالم عام (1742م)، ومن بعده أخذ الأثريون والمستشرقون يسلطون على هذه التحفة الأدبية والفنية الأضواء بحثا وتدقيقا ومقارنة.

المخطوط يحتوي على ثلاث أجزاء رئيسية يتقدمها في البداية كراسا مصورا من ثماني وعشرون لوحة تحتوي منمنمات ورسومات وجداول مزخرفة في معظمها مستمدة من التوراة والإنجيل، ثم يليه صفحات عشر سميت بالقراءات الطقسية، ومن ثم النص السرياني للأناجيل الأربعة (متى، مرقس، لوقا، ويوحنا)، المكتوب بالخط الأسطرنجيلي، فهو مخطوط إنجيلي تم إحضاره إلى مكتبة لورينزيانا في فلورنسا بعد عام(1522م)، موجود في المكتبة تحت الرمز (MS Plut. I. 56) والمعروف باسم كاتبها الرئيسي رابولا.

المخطوط يحتوي على ثمان وعشرون لوحة تقدمة صفحاته، بمجملها تدور حول حياة السيد المسيح وبعض القديسين.

ومما ذكره السمعاني في ترجمته للنص السرياني للكولوفون [2] أن المخطوط " تم الانتهاء من نسخه في عام (568م)، في دير مار يوحنا [3] بيت زغبة". (حاجي، 1997) [4]

10-2 الجمالية (Aesthetics):

- الجمالية لغوياً: "ورد في معجم لسان العرب أن الجمال مصدر جميل، والفعل(جَمل) وقولهُ عز وَجل "ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون " (القرآن، سورة النحل 6) أي بهاء وحُسن كما ورد أن الجمال الحَسن، في الفِعل والخلق". [5]
- الجمالية فلسفياً وجمالياً: فقد ورد (الجمال) بأنه "صفة تلحظ في أشياء وتبعث في النفس السرور والرضا والجمال من الصفات ما يتعلق بالرضا واللطف". [6]
- الجميل: في المعجم الفلسفي الجميل هو "الرائع، الحسن، مفهوم من أهم مفاهيم الاستيطيقا (علم الجمال)، يعبر عما لظواهر الطبيعة والحياة الاجتماعية والنشاط البشري، بوسعها أن تثير في نفس الإنسان مشاعر الحب النزيه والسرور والحرة". [7]
- **الجمالية اصطلاحاً:** هي وحدة العلاقات الشكلية والتي توحي للمتلقي بالإحساس بالانتظام والتناغم الناتج عن طريق تنظيم العناصر البصرية.

10-3 الإيقاع (Rhythm):

الإيقاع لغوياً: " تشتق كلمة الإيقاع (Rhythm) في اللغات الأوربية من لفظ (Rhuthmos) اليوناني، وهو بدوره مشتق من الفعل (Rheein) بمعنى ينساب

(1)- إسطفان عواد السمعاني المطران، ولد في لبنان (1709م)، سافر الى روما حيث تلقى علومه، وعين حافظاً للمكتبة الفاتيكانية، وله مؤلفات شهيرة منها «فهرست المكتبة الشرقية الخطية في المكتبة المادیشية»، توفي في روما عام(1782م). (الموجز في تاريخ سورية- ص (422).

(2)- الكولوفون (Colophon): هي التسمية الشائعة للصفحة الأخيرة التي تعطي تفاصيل عن الإنشاء المادي للمخطوط. https://en.wikipedia.org/wiki/Colophon_(publishing)

(3)- دير مار يوحنا بيت زغبة: تعددت الآراء حول مكان الدير هل هو في مكان ما في بلاد ما بين النهرين أو هو في مكان ما شمال أفاميا. يوسف متى، (2012)، إنجيل رابولا كلمة وصورة، مؤتمر الشرفة الأول. ص (8-9).

(4)- متري حاجي، أثناسيو، (1997)، موسوعة بطريركية أنطاكية التاريخية والأثرية، المجلد الثالث، ص (165).

(5)- (منظور، 1300هـ، الصفحات 433-438)

(6)- (الصالح و آخرون، صفحة 844)

(7)- (المعجم الفلسفي المختصر، 1986، صفحة 177)

أو يتدفق. وفي اللغة العربية يُرجح أن لفظ الإيقاع مشتق من "التوقيع"، وهو نوع من المشية السريعة؛ إذ يقال "وقع الرجل"؛ أي مشى مسرعاً مع رفع يديه، ومن المعروف أن مشية الإنسان من أهم الأصول الحيوية التي يرجع إليها الإيقاع،

ولكن الأهم من ذلك هو فكرة الحركة بوجه عام؛ إذ إنها تظهر في الأصلين العربي واليوناني معاً؛ فالانسياب حركة، والمشي بدوره حركة، وفي ذلك دليل قاطع على الارتباط الوثيق بين الإيقاع والحركة كما تشهد به اللغة ذاتها". (1)

"والإيقاع صفة مشتركة بين الفنون جميعا تبدو واضحة في الموسيقى والشعر والنثر الفني والرقص، كما تبدو أيضا في كل الفنون المرئية. فهو إذا بمنزلة القاعدة التي يقوم عليها أي عمل من أعمال الأدب والفن. ويستطيع الفنان أو الأديب أن يعتمد على الإيقاع باتباعه طريقة من ثلاث:

1- التكرار أو التعاقب أو الترابط.

2- الموازنة بين العناصر المكونة للصورة من حيث درجات ألوانها وأوضاعها والتقدير ما بين قوة التأثير في كل منها بالنسبة إلى الآخر حتى لا يذهب شيء بجمال غيره.

٣- في الموسيقى هو تقسيم الزمن بنقرات تتوالى فتحدد شكل النغم." (2)

وعرفه رياض بأنه " تكرار الكتل أو المساحات تكرار ينشأ عنه وحدات قد تكون متماثلة تماما أو مختلفة، متقاربة أو متباعدة ويقع بين كل وحدة وأخرى مسافات تعرف بالفترات". (3)

وعرفه وهبة بأنه " التواتر المتتابع بين حالتي الصوت والصمت أو الحركة والسكون أو القوة والضعف أو القصر والطول أو الإسراع والإبطاء أو التوتر والاسترخاء، فهو يمثل العلاقة بين الجزء والجزء الأخر، للأثر الفني أو الأدبي. ويكون ذلك في قالب متحرك ومنتظم في الأسلوب الأدبي أو في الشكل الفني ". (4)

وعرفه (هيكل): بأنه "حركة نبضات معينة الشكل خلال زمن محدد وبتكرار منظم وتكون هذه النبضات مختلفة الديناميكية فيما بينها وداخل الشكل الواحد المتكامل للإيقاع". (5)

الإيقاع اصطلاحاً: يمكن وصف الإيقاع البصري بأنه " حركة ذات علاقة ديناميكية مؤثرة تأخذ النظر في طريق سهل باتجاه الاستمرارية التي تتواصل مع بعضها عبر العناصر التشكيلية في تصاعد منظم الخطوط والأشكال والألوان وعناصر أخرى". (6)

جمالية الإيقاع إجرائياً:

فالإيقاع يعني الترديد الجمالي، وهو تنظيم للفواصل السطحية أو المكانية الموجودة بين وحدات الصورة، كدرجات الألوان، الحجوم، الخطوط، الأشكال. ويتحقق عن طريق التكرار والتكرار المنظم، والتوالي، والتبادل، والانسياب، والتآلف، والتناثر في الاتجاه، وجميعها مرتبطة بالإيقاع الذي نحسه في الحياة.

11 تمهيد:

" اختلفت الآراء والاطروحات الفكرية حول مفهوم الايقاع في الفن، اذ يرى (ارسطو) في طروحاته الفلسفية والجمالية ان الايقاع يقع ضمن ثلاثة مفاهيم هي (الترتيب والتناسب والإيقاع) وهي تمثل(الرائع).

فالفن في نظر (أرسطو) يعد عملية محاكاة وتقليد وأن صفة التقليد محاكاة عامة بجميع الفنون في مجال الرسم يعبر عنه بالأشكال والألوان وفي الموسيقى

(1)- (زكريا، 2017، صفحة 37)

(2)- (عكاشة، 1990، الصفحات 400-401)

(3)- (رياض، التكوين في الفنون التشكيلية، 1995، صفحة 181)

(4)- (وهبة و المهندس، 1984، صفحة 71)

(5)- (هيكل، 1979، صفحة 3)

(6)- (الأمير، 2014، صفحة 4)

بالأنغام والتناسب والزمن والإيقاع يكون متحققاً سواء في الفنون الزمانية أم المكانية من خلال رؤيته التي تؤكد على أن الرائع بالنسبة لجميع الأشياء الحية وغير الحية مجموعة أجزاء تتابع بانتظام وبأحجام وكتل ومسافات معينة يتحقق من خلالها التواتر الإيقاعي الذي يؤسس الجو المسيطر على اللوحة الفنية، فالفنون لديه تعد محاكاة ونظريته في الفن ترى بأنه قدرة لإعادة صياغة الواقع"[1].

إن الإيقاع يرتبط بطبيعتنا الإنسانية وطريقة تكوينها سواء شعرنا به أم لم نشعر، وان أفكارنا وتوازننا ألكياني إنما يمارس نوعاً من الآلية تقربه من آلية النظام الإيقاعي، وهذا ما يجعل الطبيعة البشرية ذات طابع إيقاعي بما في ذلك طريقتنا الاجتماعية في العيش وفي كل التفاصيل الحياتية وخواص أفكارنا ولا غرابة في ذلك فهو مرتبط بفطرة الإنسان وطريقة تكوينه، إذ إن الإحساس بحركة الإيقاع ومتغيراته كان دون شك خاصية فطرية جذرية في الإنسان" [2].

12 مفهوم الإيقاع وأشكاله:

" ففي الطبيعة مثلًا إيقاع يتضح في الجماد كما في تيارات البحر وأمواجه، وفي تعاقب الليل والنهار، وفي النبات؛ في غذائه وراحته ونموه ونضوجه، وهو أوضح في الحيوان حين يرقص ويغرد، ولكن رجل الفن يستكنه الروح في هذه المظاهر، فيخرج منها برؤيا الموسيقى والشعر والرقص، فهو مع تجاوزه الحقيقة يجعل أساسه فيها، كذلك المثَّال يرى البشر والحيوان أجسامًا مختلفة وهيئات متفاوتة فينظر من وراء هذه الأجسام والهيئات إلى الغاية التي يرمي إليها التطور، وإلى الروح التي وراء هذه المناظر، فينحت لنا من الحجر رجلًا يمثل الشجاعة أو امرأة تمثل الحب" [3].

ارتبطت كلمة الإيقاع أول ما عرفت بالموسيقى، ثمَّ استُعيرت هذه الكلمة لتصبح متداولة في مجال الفنون التشكيلية كما أنَّ الإيقاع في الحقيقة ظاهرة مألوفة في طبيعة الإنسان نفسه فبين ضربات القلب وبين النوم واليقظة انتظام وإيقاع، والإيقاع في الكون واضح بين تتابع الليل والنهار وتعاقب فصول السَّنة وفي نظام دوران الأرض والشمس والقمر وصلة كل بالأخرى.

"والإيقاع في جميع أشكاله وأنواعه ينقسم إلى جزأين:

أ. الوحدات

ب. الفترات

إن الوحدات بتعاقبها المتكرر والمتصل وبانسيابها الهادئ تسهم بقسط وافر من التعبير في التكوين الإيقاعي، في الشعر يقوم الشاعر على وضع الكلمة في مكانها المناسب بحيث تلتحم الكلمة مع الأخرى ويكسب الكلام بعضه بعضاً قيماً وخصائص جمالية "[4].

" أما الفترات فهي تلك الفضاءات التي تقع بين وحدتين أو نواتين إيقاعيتين بين حرفين أي بين كتلتين يكون كل كتلة منها مكوناً جمالياً واحداً، وبتظافره مع الكتل الأخرى يكوّن بنية حركية تؤثر في النظر وتقوده بسلاسة داخل التراكيب وقد يحتوي على فواصل ذات طاقات توافرية تساعد على استمرار الفواصل بين الخطوط المقطوعة"[5].

13 الإيقاع وعلاقته بمبادئ تكوين العمل الفني:

تعد العلاقات التكونية للعمل الفني بمثابة وسائل تنظيم جمالية تربط فيما بينها للوصول إلى منتج فني له صداه عند المتلقي.

(1)- (تاتاركيفتش، الصفحات 218-219)

(2)- (عمر، 1982، صفحة 68)

(3)- (موسى، صفحة 13)

(4)- (سعيد، 1988، صفحة 139)

(5)- (ديوي، 1963، صفحة 453)

حيث يرى رشدان " أن الوحدة والإيقاع والتوازن والتناسب والسيادة، هي قيم الحياة التي تبحث عنها في العمل الفني وكل أساس من هذه الأسس الفنية له مراده في الحياة ويكتسب صلاحيته وصدقه من هذا المنبع الحيوي، فهي ليست مجرد مجموعة من القوانين اختلقها شخص ما ليقيم بها الأعمال الفنية"[1].

13-1 الإيقاع في رسومات مخطوط رابولا:

لا شك أن الفن المسيحي ينبع من جذور عميقة لا تتوقف عند المؤثرات المحلية التي شهدتها الحضارات الإنسانية في المنطقة السورية فحسب، بل إن هنالك عوامل مؤثرة عالمية (كالهلينية أو الهلنستية، والإغريقية . الرومانية، والرومانية . البيزنطية)

حيث أسهمت بشكل أو بآخر في مراحل مهمة من مراحل تكوينه حتى تبلورت تجربته ونضجت لتحقق من الفن المسيحي فناً عالمياً يحمل سماته وخصائصه التي أسهمت فيها شعوب وثقافات متعددة كان لها دور كبيراً في رسم معالمه وهويته.

ومن هذا المنطلق تعد رسومات مخطوط رابولا والتي تم إنجازها قبل نحو خمسة عشر قرناً بأيدي فنانين سورين سريانيين خطت أناملهم لوحات ذات بعد جمالي مميز من حيث التركيب الشكلي والنظم الإيقاعية نسيجاً متناغماً تحتاج إلى من يتأمل فيها تأملاً واعياً لا عند حدودها الظاهرة فحسب بل تحتاج إلى بصيرة ترفع الغطاء عن مكنوناتها التصميمية والنظم الإيقاعية بأنواعها وأشكالها.

14 أشكال الإيقاع وتمثيلاتها في رسومات المخطوط:

وانطلاقاً مما سبق ذكره يتطرق البحث إلى مفهوم الإيقاع وجمالياته في الفن المسيحي السرياني من خلال دور الإيقاع في الفنون المرئية ودلالاته في شكل ومضمون العمل الفني.

والإيقاع المرئي والمصور كان وما زال له وظيفة من حيث جانبه النفسي فقد يوحي للمتلقي بالراحة والطمأنينة تارة وأحياناً أخرى يكون مثيراً صاخباً وهو من هذا الجانب على " أنواع منها الإيقاع السريع فيه حيوية وتوثب لا يعطي شعورا بالراحة بل يثير الأعصاب إذا كان صاخبا أما البطيء فمريح ويصلح للموضوعات الخيالية والعاطفية ويبعث على الاسترخاء"[2].

وقد أشار فلاسفة الجمال من خلال دراستهم للإيقاع إلى أقسام وأنواع تبرز وتوضح جماليته في التكوين الفني، حيث قسم" سوريو الإيقاع مهما كان شكله في الصورة الفنية على أحد الأقسام الآتية التي لا بد للإيقاع من أن يقع في إحدى مراتبها:

14-1 الإيقاع الرتيب:

"هو ذلك الذي تتشابه فيه كل من (الوحدات) و (الفترات) تشابها تاماً من جميع الأوجه، كالشكل والحجم والموقع باستثناء اللون، إذ تختلف فيه الألوان، فقد تكون الوحدات سوداء مثلاً والفترات بيضاء أو رمادية" [3].

الإيقاع الرتيب في لوحات المخطوط نجد أثره واضحاً في الشكل والحجم وخاصة في العناصر المعمارية (الأقواس والأعمدة والفراغات بينها) والزخرفية سواء في القباب أو الأعمدة وحتى بالمنمنمات التي تحيط بجداول (يوسابيوس). انظر الشكل(1

(1)- (الحليم، 1974، صفحة 75)

(2)- (رياض، التكوين في الفنون التشكيلية، 1995، الصفحات 400-402)

(3)-المرجع السابق

الشكل(1) (منمنمة معجزة شفاء حماة بطرس والمرأة النازفة)

مخطـــــوط إنجيـــــل رابـــــولا–
www.internetculturale.it

14-2 الإيقاع غير الرتيب:

"وهو الذي تتشابه فيه جميع الوحدات مع بعضها، كما تتشابه فيه جميع الفترات مع بعضها أيضاً، ولكن تختلف فيه الوحدات عن الفترات شكلاً وحجماً ولوناً" [1].

ويمكن أن نلحظ ذلك في عنصر الأعمدة الموجود في اللوحة، فقد شكل الفنان في نوع الأعمدة من حيث نحافة وعرض العمود والذي يمثل (الوحدات) باختلاف شكلها وحجمها مما نشأ عنه اختلاف في الفراغات بين الأعمدة حيث توسعت المساحة بينها والمتمثل (بالفترات) مما شكل نوع من الإيقاع غير الرتيب.الشكل **(2)**

الشكل (2) (منمنمة معجزة إخراج الدرهم من فم السمكة)

مخطـــــوط إنجيـــــل رابـــــولا–
www.internetculturale.it

14-3 الإيقاع الحر:

وقد عرف بأنه "هو الذي يختلف فيه شكل الوحدات عن بعضها اختلافاً تاماً، كما تختلف فيه الفترات عن بعضها اختلافاً تاماً أيضاً. وقد يقع هذا الإيقاع في أي من المرتبتين الأتيتين:

14-3-1 الإيقاع الحر:

[فهو] يحكمه إدراك عقلي ثقافي فني، وتكون فيه كل من الوحدات والفترات مرتبة بشكل مقبول، وفي هذه الفصيلة تقع الكثير من الأعمال الفنية التي ينتجها ذوو الثقافة الفنية العالية" [2].

وهذا النمط من الإيقاع قد تجلى في تنوع الرسومات والأشكال التي تحيط بالجداول فقد لجأ الفنان السرياني في بناء لوحته بتنوع الرسومات (شخوص بشرية، حيوانات، نباتات، تصوير مشهدي لحدث) جميعها شكلت (وحدات) ثم مساحة من الفراغ (فترات) نشأ عنها منمنمة ذات إيقاع حر ومتنوع. انظر الشكل ***(3)***

الشكل (3) (منمنمة الإنجيليين متى ومرقس)

مخطـــــوط إنجيـــــل رابـــــولا–
www.internetculturale.it

14-3-2 الإيقاع الحر العشوائي:

"وفيه يكون ترتيب كل من الوحدات أو الفترات ترتيباً عشوائياً من دون رابط أو دراسة"[3].

لهذه النوعية من الإيقاع ندرة في لوحات المخطوط فقد غلب عليها الرتابة والنظام والدراسة المسبقة في

(1)–المرجع السابق

(2)–المرجع السابق

(3)–المرجع السابق

تخطيط اللوحات من حيث تشكيل البناء المعماري والهندسي والزخرفي.

ولكن ممكن أن نلحظ هذا النوع من الإيقاع مجسداً في هذه اللوحة بشكل واضح.

فقد أطلق الفنان العنان لنفسه في تركيب اللوحة إيقاعيا من خلال تلك الشخوص المتتابعة مع التغير في حجمها وشكلها وكذلك التنوع في حجوم وأشكال بقية العناصر وأيضاً تنوع الألوان بن باردة ودافئة مكونة لوحة معبرة عن مضمون الحدث.الشكل(4)

الشكل(4) (منمنمة الصلب والقيامة)

مخطـــــوط إنجيـــــل رابـــــولا– www.internetculturale.it

4-14 الإيقاع المتناقص:

"**إذ يتناقص فيه حجم الوحدات تناقصاً تدريجياً مع ثبات حجم الفترات، أو العكس، أو تتناقص حجم كل من الوحدات والفترات تناقصاً تدريجياً معاً وعندها يعبر عن هذا الإيقاع ب (الإيقاع المتناقص)**" [1].

يمكن أن نلحظ هذا النوع من الإيقاع بكثرة في الجانب الزخرفي في منمنمات المخطوط سواء في الحجم أم في اللون. انظر الشكل (*5*)

الشكل (5) (منمنمة المسيح والرهبان الأربعة)

مخطـــــوط إنجيـــــل رابـــــولا– www.internetculturale.it

5-14 الإيقاع المتزايد:

إذ يتزايد حجم الوحدات تزايداً تدريجياً مع ثبات حجم الفترات، أو العكس، أو يتزايد حجم كل منهما تزايداً تدريجياً معاً، وعندها يعبر عن هذا الإيقاع ب (الإيقاع المتزايد)." [2].

ولعل لوحة اختيار (متياس) [3] أصدق تعبير عن هذا النوع من الإيقاع فقد تتابعت الشخوص في حركة دائرية وتغيراً في حجومها وتدرجت ألوانها لتعطي إيقاعاً متناغماً يبعث في نفس المتلقي جواً روحانياً يشعر من خلاله بالراحة والطمأنينة. انظر الشكل(6)

الشكل(6) (منمنمة اختيار متياس)

مخطـــــوط إنجيـــــل رابـــــولا– www.internetculturale.it

6-14 أنماط الإيقاع في مخطوط رابولا:

ويمكن أن نتتبع أنماط الإيقاع ونظمه داخل لوحات المخطوط على الشكل لتالي:

7-14 الإيقاع الخطي:

يعتبر الخط واحداً من أهم عناصر الفنون التشكيلية، فالفن يبدأ عامة بعملية التحديد أي التخطيط

(1)– (الأمير، 2014، صفحة 4)

(2)–المرجع السابق

(3)– متياس أو متيًا (بالإنكليزية Matthias) هو واحد من رسل المسيح الإثني عشر ولكنه يتميز بوضع خاص فهو الوحيد الذي لم يختاره يسوع ليكون من الإثني عشر، بل تم اختياره من قبل التلاميذ ليأخذ مكان يهوذا الإسخريوطي الذي كان قد انتحر بعد أن سلم يسوع لليهود. (متياس، 2021)

الخارجي، والخط قد يكون متذبذباً أو مستقيماً أو منحرفاً أو ملتوياً أو منكسراً سميكاً أو رقيقاً، متباعداً أو متقارباً، متداخلاً حاداً أو ليناً،

وقد ظهر هذا النوع من الإيقاع في معظم رسومات المخطوط، فنجده يحدد تلك الرسوم ويبرزها، فتارة نراه سميكاً وتارة رقيقاً، وكذلك فقد تنوع في استقامته وانكساره والتواءه فكأنه يقودنا في حركة دائمة في منمنمات المخطوط. انظر الشكل

الشكل (7) (منمنمة الصعود)
مخطوط إنجيل رابولا–
www.internetculturale.it

14–8 الإيقاع اللوني:

اللون من العناصر الهامة في التصميم وهو يوصف بتدرج اللون، والقيمة مرتبطة بقوة اللون، فالقيمة تنسب إلى درجة الفاتح والقاتم.

"إن عنصر اللون له دوراً هاماً في تحقيق القيم الجمالية لأي عمل فني لأن له أثر مباشر على الحواس، وبناء على ما تحدثه هذه الألوان من نظم إيقاعية سواء انسجام أو تنافر، نصدر حكمنا على العمل الفني بصرياً والألوان جزء من التكوين المزاجي لكل فرد، "يمكن تحديد الإيقاع اللوني بانتقال العين بين الألوان الحارة والباردة، كما يمكن تلمسه داخل الشكل من خلال الخطوط المتنوعة بين المنحني والمتكسر والمستقيم والمتعرج، وكذلك بين السطوح الأفقية والعمودية، وبين الفراغ والكتل المنظورية، وبين مداخل المنظر ومخارجه، وبين الخامات وملمسها ناعماً كان أم خشناً وما بينهما، وكذلك بين المادة الخام المستخدمة في مكونات العمل التشكيلي. انظر الشكل(7)

الشكل(7) (منمنمة العنصرة)
مخطوط إنجيل رابولا–
www.internetculturale.it

ويأتي التدرج اللوني في مرتبة مهمة من مراتب تحقيق الإيقاع ووجوده؛ ذلك أن التشكيل الجمالي يحقق للناظر متغيرات جمة منها تغير ألوان الكتلة البصرية تدريجاً على وفق تشكيل الصورة التي تعكس الإيقاع ومكوناته"[1].

لقد استطاع الفنان السرياني وخاصة في زخارف المخطوط، الاستفادة من التنوع والتدرج اللوني سواء في الزخارف النباتية أم الهندسيةمما أعطى اللوحات بعداً جمالياً مريحاً للمتلقي.

14–9 الإيقاع الشكلي :

ويعني تحقيق الإيقاع والنظم الإيقاعية من خلال مساحات الشكل أو الأشكال، والشكل هو عنصر من عناصر العمل الفني، ويعرف بأنه أصغر نظام متكامل يتخذ هويته نتيجة لفاعلية العلاقة التبادلية بين العناصر المكونة له، كما أنه يعرف من خلال ... بأنه (كيان متكامل) يتكون من مجموعة أجزاء تتكامل فيما بينها لتكسب الشكل صفاته المميزة له. انظر الشكل ***(8***

(1)– (عبد الله، علي، 2013، صفحة 198)

الشكل (8) (منمنمة معجزة شفاء حماة بطرس والمرأة النازفة)

مخطوط إنجيل رابولا– www.internetculturale.it

ونلاحظ أن الفنان السرياني قد حقق الترابط بين الأشكال بعضها ببعض وارتباط كل جزء داخل الشكل والعلاقة التبادلية بين العناصر المكونة له، ودراسة كل شكل بطريقة مميزة عن الشكل الآخر داخل المنمنمة، وهرمونية الأشكال مع بعضها البعض داخل إطار اللوحة ككل مما يحقق إيقاعاً شكلياً متميزاً إلى جانب الإيقاع الناتج من خلال توزيع الأشكال واختلاف محاورها في حركات إيقاعية ديناميكية وإعطائها شكل عضوي انسيابي مع التنوع والحركة في توزيع وترديد العناصر كل هذا يضفي على تصميم الجدارية نظم إيقاعية متميزة.

15 النتائج:

- مبدأ الإيقاع أحد أهم مبادئ تصميم وبناء العمل الفني، ومن خلال دراسة منمنمات مخطوط إنجيل رابولا نجد أن الرسام السرياني قد ضمن رسوماته هذا المبدأ من خلال أنواع الإيقاع والتي تم عرضها في هذا البحث.
- إن استخدام النظم الإيقاعية في رسومات المخطوطة جعلت من تلك المنمنمات ذات حيوية تجعل عين الناظر تجول فيها في حركة دائمة يتنقل في أرجائها من مشهد إلى مشهد، ومن رسمت إلى أخرى دون ملل.

16 التوصيات:

- الاهتمام بالفن المسيحي بشكل عام والسرياني السوري بشكل خاص كتراث حضاري يثري مجال التصميم والبناء الفني وذلك بالاستعانة بجماليات الأعمال الفنية القديمة والتراثية.
- اقتصرت الدراسة الحالية على دراسة أنواع الإيقاع وجمالياته في منمنمات انجيل رابولا دون التعرض للقيم الجمالية الأخرى، لذا يوصى الباحث بدراسة القيم الأخرى في رسومات المخطوط، فهو مرجع غني ومصدر ثري فنياً وجمالياً.

هذا البحث ممول من جامعة دمشق وفق رقم التمويل (501100020595).

المراجع:

1. القرآن الكريم.
2. إنجيل رابولا.
3. ابن منظور. (1300هـ). **لسان العرب** (المجلد 9). بيروت: دار صادر.
4. أثناسيو متري حاجي. (1997). **موسوعة بطريركية أنطاكية التاريخية والأثرية** (المجلد 3).
5. أحمد حافظ رشدان، و فتح الباب عبد الحليم. (1984). **التصميم في الفن التشكيلي**. القاهرة: عالم الكتب.
6. أحمد مختار عمر. (1982). **علم الأدلة**. الكويت: مؤسسة الخليج للطباعة والنشر.
7. **المعجم الفلسفي المختصر**. (1986). (توفيق سلوم، المترجمون) موسكو: دار التقدم.
8. إيهاب بسمارك. (1991). **الأسس الجمالية والإنشائية للتصميم**. القاهرة: الكاتب المصري.
9. ثروت عكاشة. (1990). **المعجم الموسوعي للمصطلحات الثقافية** . القاهرة: الشركة المصرية العالميةللنشر–لونجمان.
10. جوزيف مانيللي. (بلا تاريخ). **التكوين في الصورة السينمائية**. (هاشم النحاس، المترجمون)
11. جون ديوي. (1963). **الفن خبرة**. (زكريا إبراهيم، المترجمون) القاهرة: دار النهضة العربية.
12. زكريا إبراهيم. (1966). **فلسفة الفن في الفكر المعاصر**. القاهرة: دار مصر للطباعة.
13. زكريا إبراهيم. (1969). **مشكلة الفن**. القاهرة: مكتبة مصر.
14. سلامة موسى. (بلا تاريخ). **تاريخ الفنون و أشهر الصور**. القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
15. شاكر حسن آل سعيد. (1988). **الأصول الحضارية والجمالية للخط العربي** (الإصدار 1). بغداد: دار الشؤون الثقافية.
16. صالح علي الصالح، وآخرون. (بلا تاريخ). **المعجم الصافي في اللغة العربية** (الإصدار 1). مطابع الشرق الأوسط.
17. عبد الفتاح رياض. (1973). **التكوين في الفنون التشكيلية**. القاهرة: دار النهضة العربية.
18. عبد الله، علي. (2013). **جماليات الإيقاع في الفن الإسلامي**. البلقاء للبحوث والدراسات، 16.
19. عزام البزاز. (بلا تاريخ). **أسس التصميم**. جامعة بغداد– كليو الفنون الجميلة.
20. فتح عبد الحليم. (1974). **التصميم في التشكيل**. البحرين: وزارة التعليم العالي.
21. فؤاد زكريا. (2017). **مع الموسيقى زكريات ودراسات**. وندسور، المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي سي آي سي.
22. فواد سواف تاتاركيفتش. (بلا تاريخ). **الفلسفة اليونانية**. (محمد عثمان مكي العجيل، المترجمون) القاهرة: كنوز للنشر والتوزيع.
23. مالز فريدريك. (1963). **الرسم كيف نتذوقه**– عناصر التكوين. (هادي الطائي، المترجمون) بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.
24. متياس. (25 8، 2021). **ويكيبيديا. تم الاسترداد من الموسوعةالحرة:** https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%AA%D9%8A%D8%A7%D8%B3

25. مجدي عبد الحليم منصور. (2001). **تأثير رمزية التشكيل الهرمي على المنظومة المعمارية لعمارة الحداثة وما بعد الحداثة**. مصر: جامعة الزقازيق.

26. مجدي وهبة، و كامل المهندس. (1984). **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب** (الإصدار 2). بيروت: مكتبة لبنان.

27. محمود البسيوني. (1984). **الفن والتربية** (الإصدار 3). القاهرة: دار المعارف.

28. مصطفى الرزاز. (1984). **التحليل المورفيولوجي لأسس التصميم وموقف المشاهد منها**. مجلة دراسات وبحوث جامعة حلوان.

29. منصور محمد منصور. (2008). **تأثير القيم التشكيلية على البعد الدرامى لأفلام الحجوم**. تأليف قسم الرسوم المتحركة، كلية الفنون الجميلة (صفحة 67). المنيا: جامعة المنيا رسالة ماجستير غير منشورة.

30. نعيم عطية. (1982). **الفن الحديث محاولة للفهم**. القاهرة: دار المعارف.

31. هديل هادي عبد الأمير. (2014). **جمالية الإيقاع اللوني في الفن البصري**. تاريخ الاسترداد January, 2015،
https://www.researchgate.net/publication/311966244_jmalyt_alayqa_allwny_fy_alfn_albsry

32. هربرت ريد. (1996). **التربية عن طريق الفن**. (عبد العزيز جاويد، المترجمون) مصر: الهيئة العامة للكتاب.

33. هيكل. (1979). **فن الموسيقى**. (جورج طرابيشي، المترجمون) بيروت: دار الطليعة.

34. Runes, D. D., & Schrickel, H. G. (1966).
Encyclopedia of the Arts. New York: Philosophical libirary.

35. Tomosch, E. J. (1983). **A foundation For Expressive Drawing.** U. S. A.: Buressbublishing Company.